Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونظرة إلى ما بين أيدينا من أدب الأمم الماضية تقرر ما ندعو إليه من أهمية التعرف على البيئة بكل أبعادها ليصدر حكمنا على أدب هذه البيئة صادقا أو قريبا من الصدق .

فالبيئة — وليس العصر — هى المقياس الصادق، والكشاف الدقيق للأدب المنسوب إلى أبنائها ؛ إذ العصر الواحد يضم ألوانا مختلفة من العناصر البشرية التى يتباين فيها كل لون عما عداه من الألوان تباينا غير مستقر ، فقد يضيق هذا التباين مشتركات طبيعية أو سياسية أو نحو ذلك ، كما قد يوسع هذا التباين ويزيده اختلافات طبيعية أو سياسية أو نحو ذلك كذلك . بحيث تصبح الأمة الواحدة فى العصر الواحد كأنها عديد من الأمم لكل جماعة منها من النوازع والأذواق والمزاج ما يمنحها كيانا استقلاليا تتميز به عن الأخرى بحيث تسمع صوت الفرد منها فلا تصدق أنه يندرج فى المجموعة التى تضم أفراد الجماعة ؛ فبينما صوت الواحد هنا يدوب رقة وسلاسة ، إذا صوت الواحد هناك يصك السمع بخشونة ألفاظه ووعورة تراكيبه ، وقوة إيقاعه .

ولقد اعتاد الدارسون أن يقسموا الأدب إلى عصور ، يضم كل عصر طائفة من الأدباء الذين يمثلونه فى أدبهم ، ويعبرون عن أحداثه واتجاهات الحركة الفنية فيه ، على الرغم مما قد يكون بين أبناء الجيل الواحد من اختلافات أصيلة توجه بعضهم جهة اليمين ، وتوجه البعض الآخر جهة اليسار . . . فإذا ما ووجه الدارس بمثل هذا التباين لجأ إلى البيئة الخاصة يطلب فيها تفسيرا له وتعليلا .

من ثم كان الطريق الأقرب إلى الواقع ، والأوضح فى الكشف عن الاتجاهات الفنية لأمة من الأمم هو البحث فى أدبها من خلال البيئات الأدبية ، لتكون الصورة أشمل وأوضح ، وليكون الخلاف البادى مسبوقا بما يفسره ويعلله ، وليس محتاجا إلى تفسير وتعليل .

* * *

من هذا المنطق أقرر أن البيئة الأدبية هى المجتمع المخصوص الذى يفرض على أفراده اتجاها معينا موحدا أو متقاربا ، يلون أدبهم بلون خاص ويميزه من غيره بميزة يسير بها .

أو هى الوسط البشرى الناقل ، الذى يستقبل أحداث العصر ويتأثر بها ، فيمتصها